وما كان تضرعهم الى الرب بالطهارة للشوق وكل عبد سئل عن حاله فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت
فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل
شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء وافضى به الضعف الى الشكوى
ان يكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لا يملكون لكم رزقا فابتغوا
عند الله الرزق وقال ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فالشكر باللسان من جملة
الشكر وقد روي ان وفدا قدم على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر
فقال يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد
الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك
وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي الاصول لمعاني الشكر المحيط بمجموع
حقيقته فاما قول من قال الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض احوال القلب
وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر
هو اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقول حمدون
القصار شكر الله لنعمة ان ترى نفسك فيها طفيليا اشارة الى معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر
ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حالة من احوال القلب على الخصوص وهؤلاء اقوالهم تعرب عن احوالهم
ولذلك يختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة
الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم او يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل عليهم وانه لو عرض عليهم اقتصارا
على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان يظن ان ما ذكرناه طعن عليهم
وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل اصلا الآن
يفرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني ام يتناول
بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات
اللغات فليس لذلك من علم طريق الآخرة في شيء **بيان طريق كشف**

الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى لعله
خطر ببالك ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء
ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض اغراضهم
او بالمثول بين ايديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا نكون شاكرين لهم الا بشيء
من ذلك وهذا محال في حق الله من وجهين احدهما ان الله منزه عن الحظوظ والاغراض
مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير سواده الخدم
بالمثول بين يديه راكعا وساجدا فشكرنا اياه ولا حظ لله في افعالنا كلها **والوجه
الثاني** ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة اخرى من نعم الله تعالى اذ جوارحنا وقدرتنا
وارادتنا وداعيتنا وسائر الامور التي هي اسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله
ونعمته وكيف نشكر نعمة بنعمة ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا اخر له وركبناه او اعطانا الاول فركبناه
اخرى فيؤدي الى ان يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك في الامرين
جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع **فاعلم** ان هذا الخاطر قد خطر لداود عليه
السلام وكذلك لموسى فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ
اخر وشكري لك نعمة اخرى منك يوجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر
اخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا **فان قلت** فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر
عن ادراك معنى الجواب فاني اعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا افهمه
فان هذا العلم ايضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر
وان قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فان امكن تعريف
ذلك بمثال فهو مهم في نفسه **فاعلم** ان هذا قرع باب من المعارف وهي اعلى من علوم المعاملة
ولكنا نشير فيها الى ملامح ونقول هاهنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه
المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1